

المقاربات النظرية المفسرة للتعلق: دراسة نظرية تحليلية

Theoretical Approaches Explaining Attachment : An Analytical Theoretical Study

تاريخ النشر: 2025/12/28

تاريخ القبول: 2025/12/25

تاريخ الإرسال: 2025/10/22

بشير حكيم¹، حاج لكحل راضية²¹ مخبر الدراسات النفسية الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، الجزائر ،EMAIL: hakim.bchir@univ-biskra.dz² مخبر الدراسات النفسية الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، الجزائر ،EMAIL: radhia.hadjlakehal@univ-biskra.dz

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة ظاهرة التعلق من خلال تحليل أبرز النظريات والمقاربات التي فسرتها في علم النفس المعاصر. ويُسلط الضوء على أربع مقاربات مركزية: البيولوجية الفطرية، السلوكية، المعرفية – الاجتماعية، والتحليلية النفسية. تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي المقارن من أجل الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين هذه التفسيرات النظرية. فقد ركزت بعض النظريات على البعد الفطري والبيولوجي للتعلق، بينما أبرزت أخرى دور الخبرة الاجتماعية والتعلم والتفاعل. وتظهر النتائج أن التعلق مفهوم معقد ومتعدد الأبعاد يتقاطع فيه النفسي والاجتماعي والبيولوجي والمعرفي. ويؤكد هذا التباين على أهمية تبني مقاربة تكاملية لفهم الظاهرة بشكل شامل ودقيق، مع فتح آفاق جديدة للبحث المستقبلي.

الكلمات المفتاحية: التعلق؛ المقاربات النظرية؛ النمو النفسي؛ العلاقات الاجتماعية.

المؤلف المرسل: بشير حكيم، الإيميل: hakim.bchir@univ-biskra.dz

Abstract:

This article aims to examine the phenomenon of attachment by analyzing the main theoretical approaches that have explained it in contemporary psychology. It focuses on four key perspectives: biological, behavioral, cognitive-social, and psychoanalytic. The study adopts an analytical-comparative method to highlight the similarities and differences among these theoretical explanations. While some theories emphasize the biological and innate aspects of attachment, others underline the role of learning, interaction, and social experience. The findings reveal that attachment is a complex, multidimensional concept shaped by psychological, social, biological, and cognitive factors. This diversity underscores the need for an integrative perspective that provides a comprehensive understanding of the phenomenon and guides future research.

Keywords: Attachment; Theoretical approaches; Psychological development; Social relations.

1. مقدمة:

تعددت الدراسات والأبحاث حول علاقة الطفل مع أمه أو مقدم الرعاية ويشكل مفهوم التعلق موضوع هام لجميع النظريات النفسية فتعددت التفسيرات والمفاهيم لتلك الرابطة الانفعالية التي يكونها الرضيع في المراحل العمرية الأولى فنجد النظرية التحليلية التي اعتبرت ان العلاقة بين الطفل والأم هي بدافع الحالات البيولوجية ويؤكد فرويد ان خفض الدافع هو اهو الاساس الصلب و القاعدة المتينة لتشكيل التعلق وقد اطلق بولبي على نظرية فرويد في تفسير التعلق اسم نظرية الدوافع الثانوية لأنها تفترض التعلق ينشأ على هامش هذه الدوافع (أبو غزال، 2015، ص 88)، اما منطري المدرسة السلوكية فقد ارجع سلوك التعلق الى أنه عاد متعلمه وفقا للاقتان الكلاسيكي يظهر عن طريق العلاقة بين الطفل وأمه فلام تكون في بادئ الأمر مثيرا محايدا بالنسبة للطفل

ونتيجة اقترانها بالأحداث السارة التغذية وإزالة الألم تصبح مرغوبة ومشبعة لحاجة الطفل أما التعلق على أساس الاقتران الاجرائي يظهر كاستجابة متعلمة من خلال استجابة الأم الى سلوكيات الرضيع من خلال البكاء والجوع والضيق وتقدم له الطعام ومشاعر الحب والنظام كمعززات ما يشكلون الرضيع الأمان العاطفي. أما أنصار النظرية الاثيولوجية ويقولون ان التعلق هو سلوك بيولوجي كما جاء ذلك في أبحاث كونراد لورانس الذي التي أكدت دراسة أن أنماط سلوكية لها جوانب وراثية وبيولوجية بدرجة كبيرة ، وقد قدمت النظرية التطورية تفسيراً للتعلق واعتبرته تلك العلاقة العاطفية والانفعالية التي تتكون بين الطفل والأم مقدم الرثاء وقد يكون شخصاً آخر في نظري برج فان التعلق عبارته عن أنظمة سلوكية وأنظمة تحفيزية تعزز تلك العلاقة والغرض من التعلق وتعزيز القرض من مقدم الرعاية من اجل الحصول على الراحة والسعادة الامن الداخلي الذي يسمح له بمواجهة الأخطار المحيطة في بيئة الطفل وفي سنة 2009 أكد جون ديوي على استمرارية نشاط التعلق طوال الحياة ويكون مستقراً الى حد ما في بيئة ثابتة. (رومان وان صوفي، 2015، ص15-16)

2. الإشكالية:

يعد مفهوم التعلق من المفاهيم المحورية التي شكلت أحد المراكز الأساسية في علم النفس، لا سيما في مجالات علم النفس التنموي، والتحليل النفسي، وعلم النفس الاجتماعي، فقد حاولت مدارس نفسية متعددة، كل من منطلقها النظري ومفاهيمها الخاصة، تفسير طبيعة هذه العلاقة الوجدانية التي تنشأ بين الطفل ومقدم الرعاية، والتي تمثل الأساس الأولي لتكوين الشخصية والعلاقات الاجتماعية اللاحقة، رغم أن السلوك التعلقي ظاهرة إنسانية تبدو بسيطة من حيث المظهر (كالبكاء، التعلق الجسدي، طلب القرب)، فإنها في جوهرها معقدة للغاية، إذ تتقاطع فيها العوامل البيولوجية والانفعالية والاجتماعية، وقد أدى هذا التعقيد إلى ظهور مقاربات تفسيرية متعددة، حاول كل منها تقديم رؤية خاصة لطبيعة التعلق وأسبابه ووظائفه.

فهم طبيعة العلاقة بين الطفل ومقدم الرعاية أحد المحاور الأساسية في علم النفس التنموي، إذ تمثل هذه العلاقة قاعدة جوهرية لنموه النفسي والاجتماعي السليم، وقد تنوعت التفسيرات النظرية التي تناولت هذا الموضوع، حيث ركزت بعض الاتجاهات على الجوانب البيولوجية والغريزية في تكوين هذا الارتباط، بينما أولت نظريات أخرى اهتماماً أكبر للعوامل البيئية والاجتماعية والتفاعلات المتبادلة بين الطفل ومحيطه، هذا التنوع في الطروحات النظرية يثير تساؤلات عميقة حول طبيعة التعلم: هل هو استجابة فطرية داخلية؟ أم هو نتاج خبرات وتفاعلات مكتسبة؟ ومن هذا المنطلق تبرز الحاجة إلى تحليل مقارن بين مختلف النظريات التي حاولت تفسير مفهوم التعلم لفهم أبعاده بشكل أشمل وأدق، من هذا المنطلق، تبرز الحاجة إلى دراسة هذه الظاهرة النفسية المعقدة من زوايا متعددة، من خلال تحليل ومقارنة أهم النظريات التي تناولتها، للكشف عن أوجه القوة والقصور في كل منها، وبناء فهم أشمل لطبيعة التعلم ومكوناته وأبعاده.

الإشكالية لا تقتصر على الجانب النظري فحسب، بل تمتد أيضاً إلى الجانب التطبيقي، إذ تسهم نتائجها في تطوير استراتيجيات التدخل النفسي والاجتماعي التي تستهدف تعزيز الروابط الآمنة بين الطفل ومقدم الرعاية، بما ينعكس إيجاباً على نموه المتكامل، ومن هنا تطرح الإشكالية الأساسية التالية:

✓ ما هي أهم المقاربات والنظريات التي فسرت ظاهرة التعلم؟ وكيف ساهمت كل منها في بناء المعرفة النظرية حول هذا المفهوم؟

3. أهداف الدراسة:

- ✓ عرض وتحليل أهم النظريات التي فسرت ظاهرة التعلم، مع التركيز على الخلفيات الفكرية التي انطلقت منها كل مقاربة.
- ✓ المقارنة بين المقاربات المختلفة من حيث المنطلقات والمفاهيم الأساسية، بما يسمح ببناء رؤية شمولية للظاهرة.

✓ تتبع التطور التاريخي لمفهوم التعلم في الفكر النفسي، والكشف عن التحولات التي طرأت عليه عبر المراحل النظرية المختلفة.

4. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تندرج ضمن الجهود النظرية الرامية إلى إغناء الفهم العلمي لظاهرة تعد من أكثر الظواهر تأثيراً في البناء النفسي والاجتماعي للإنسان، فمن جهة تساهم هذه الدراسة في تقديم إطار نظري تحليلي متكامل يجمع بين مختلف الرؤى التي تناولت موضوع التعلم، مما يشكل رصيذا معرفيا يمكن للباحثين في مجال علم النفس الاستناد إليه في بحوثهم الميدانية، ومن جهة أخرى فإن الوقوف على نقاط الالتقاء والاختلاف بين النظريات يتيح فرصة ثمينة للكشف عن الفجوات المعرفية التي لا تزال بحاجة إلى دراسات معمقة، كما يفتح المجال أمام بناء نماذج تفسيرية أكثر تكاملا تتجاوز الحدود الصارمة لكل مقاربة على حدة.

5. أسئلة البحث:

- ✓ ما هي أبرز النظريات والمقاربات التي تناولت ظاهرة التعلم؟
- ✓ ما هي مرتكزاتها المفاهيمية والمنهجية الأساسية؟
- ✓ ما أوجه التشابه والاختلاف بينها من حيث تفسير الظاهرة؟
- ✓ كيف ساهمت هذه النظريات في تطوير الفهم العلمي لمفهوم التعلم؟
- ✓ ما الإمكانيات التي يتيحها التكامل بين هذه المقاربات لفهم أكثر شمولية للظاهرة؟

6. مراجعة الأدبيات والنظريات:

يعتبر مفهوم التعلم من أكثر المفاهيم التي نالت اهتماما عبر مدارس فكرية متعددة، نظرا لعلاقته المباشرة بالنمو النفسي والاجتماعي للإنسان، ويمكن تصنيف المقاربات التفسيرية إلى أربعة اتجاهات رئيسية: التحليلية، السلوكية، الإثنولوجية/البيولوجية، والتطورية، بالإضافة إلى مقارنة النمو النفسي الاجتماعي التي وسعت أفق التحليل.

1.6. النظرية التحليلية:

يأخذ التحليل النفسي الكلاسيكي عند فرويد بأن العلاقة التي تربط الطفل مع محيطه تكون قائمة على القوى البيولوجية التي تشكل مستقبل الكائن الإنساني يولد

الطفل مزودا بمجموعة من الدوافع الغريزية اللاشعورية هي التي تحرك السلوك وتوجهه وما النمو هو تنظيم لهذه الطاقة الغريزية وتتكون لديه العديد من الحاجات البيولوجية كالجوع والعطش وحاجات نفسية كالحاجة الى الاثارة الحسية في بادئ الأمر يلجأ الطفل الى اشباعات وهمية من خلال العمليات الأولية لعدم تفرقة بين ثدي الام او النهاية والاصبع ومع مرور الوقت يصبح ثدي الأم هو الوسيلة الحقيقية لإشباع الحاجة الى الطعام وهذا ما يسمى العمليات الثانوية، في هذه المرحلة من العمر يسير الطفل بمبدأ اللذة لخفض التوتر الناجم على الدوافع الغريزية. (محمد عوده، 2003، ص 139)

حسب التحليل النفسي فإن بداية حياة الطفل يلعب الآباء والأمهات دور الضابط و التحكم في سلوك الطفل من خلال استجابات الأم لصراخ وبكاء الطفل لتلبية رغبة في الرضاعة والاكل او الحمل ومن خلال هذه العلاقة بين الأم والرضيع يتعلق الطفل بالموضوع ثدي الأم (لعيسوي، 1993، ص 345) يعبر فرويد عن الطاقة الجنسية بالليبيدو لذا تكون اهتمامات الطفل الجنسية لتتابع مرحلة محدد يركز اهتمامه اولا على الفم المرحلة الفمية ثم يتبعها الاهتمام بالشرح المرحلة الشرجية ثم الاهتمام بمناطق الاعضاء التناسلية والتي هي المرحلة القضيبية وان هذا التتابع محكوم بعملية النضج بما هو فطري و العوامل البيولوجية وخبرات الطفل الاجتماعية لأنها تلعب دورا حاسما نمائيا (وليام كرين، 1996، ص 289) بالنسبة لفرويد فإن النشاط الجنسي اساسي في الطفولة ولهذا لا توجد علاقة مع الموضوع دون الاعتماد على الدوافع الغريزية لإشباع ذلك النشاط وعند غياب الموضوع يؤدي بالطفل الى معرفة وجوده النفسي عن طريق الدوافع و الهومات حسب فرويد هذه المرحلة يكون الرضيع في حالة لاتمايز.

يذكر ويد لوشير عن باليين بأن التعلق بقدر مامو تعبير عن العلاقة مع الأم الحقيقية فهو مصدر لدوافع وتخيلات جنسية وهذا ما قد يسبب استيعاب ثانوي للموضوع ويؤكد كذلك أن الجنس الطفولي يحدث إلا بعد الخبرات المعاشة والمراقبة لسلوك التعلق ويكون ايضا حسب الأنماط العلائقية و استجابات الافراد المحيطين وهذا كله في الوضع التخيلي والهوامي، أما لابلونش ذكر تميز فرويد في شرح الدوافع المحافظة على الذات والدوافع الجنسية فالأولى ستكون موجهة للموضوع وترفع من الغرائز التكيفية وتكون مبرمجة وراثيا اما الدوافع الجنسية غير موجهة للموضوع الحقيقي وغير فطرية

ستنشأ في إطار العلاقة بين مقدمي الرعاية والأطفال و يعتبر أن التعلق هو عبارة عن الحفاظ على الذات والغريزة لهذا في المرحلة الطفولة المبكرة يكون هناك تعايش بين التعلق والجنس الطفولي (Gallien.2006.pp 42.43).

أما أريك أريكسون فقد قسم مراحل الحياة إلى ثمانية مراحل وثقة في كتاب الطفولة والمجتمع سنة 1950 وعكس فرويد فقد حاول أن يقدم المفاهيم التي تقود تدريجيا لفهم التفاعل بين الطفل والعالم الاجتماعي (وليام كرين، 1996، ص 318) وكان اهتمام الأساسي هو الطفولة ونمو الإنسان لذا تعتبر نظريته نفسية اجتماعية لأنها تهتم بالنمو الوجداني والانفعالي ويكون هذا النمو عبر مراحل متتابعة ومعقدة التي سماها بعملية إحراز الهوية الشخصية وتشمل معرفة الذات وتقبلها وتقمص المثل العليا وأنماط جوهرية بالثقافة التي يعيش فيها.

النمو عند أريكسون عبارة عن مجموعة من الأزمات أي فترة تحول من عدم الشعور بالهوية الشخصية الى الشعور بها ويظهر التعلق حسبة من خلال علاقة الفرد مع الوالدين و الأسرة ويركز على التنشئة الاجتماعية منذ المرحلة الأولى من ميلاد الطفل التي سماها مرحلة الثقة وعدم الثقة وتكون هذه ثقة من خلال علاقة الطفل مع الأم لان الخبرات الأولى مع تلعب دورا حاسما من خلال الثدي او الرضاعة بديلة وتعتبر هي البيئة من خلال السلوكات الأولية من حب ودفء والحنان وبهجة الاعتماد وهنا يتزايد شعور الطفل بالأمان وتتكون ثقة الطفل مع الأم عندما تستجيب لإشباع حاجته تؤدي الى التوقعات أخرى مقبولة لخبرات جديدة تزداد تعلق الطفل مع أمة كلما ازدادت مشاعر الود وبهذا يقوم الطفل بتعميم هذا الشعور على الآخرين لو يبدأ الطفل حياته سليمة متجه الى التوافق الاجتماعي والانفعالي بالمستقبل لذلك علاقة الطفل بأمة اهم وادق وهذا ما اشار إليه أريكسون في نظريته إلى أن الطفل يستمد ثقته الآخرين من خلال علاقته بأمة دون إغفال دور الأب بتكوين الصورة الذاتية أما الأم التي تتعامل ببرودة عاطفية وجفاء مع ولدها فتكون ذات قيمة سلبية بل رمز للالم ولا لذة (P.P 79-81، 2016، DOMINIQUE.C)

يرى التحليل النفسي أن العلاقة التي تربط الطفل بمقدم الرعاية وغالبا الأم ترتكز أساسا على الدوافع البيولوجية والغريزية، وبخاصة الدافع الجنسي (الليبيدو)، في هذه

المرحلة المبكرة، لا يميز الطفل بين ذاته وبين موضوع الإشباع (ثدي الأم)، بل يشكل هذا الموضوع امتدادا لنفسه، ومع مرور الوقت، يصبح موضوعا خارجيا يحقق له خفض التوتر، تفسر النظرية التحليلية التعلق على أنه نتيجة ثانوية لإشباع الدوافع البيولوجية. أي أن الطفل لا يتعلق بالأم لذاتها، بل لأنها مصدر الإشباع، ولذلك سعى John Bowlby هذا التفسير بنظرية الدوافع الثانوية، ورغم أن هذا التفسير تعرض للنقد لاحقا، فإنه أسس لبناء مفاهيمي مهم جعل من التعلق مكونا محوريا في تطور الشخصية.

2.6. النظرية السلوكية:

تقر النظرية السلوكية أن التعلق وفق الاشراف الكلاسيكي والإجرائي عادة متعلمة فحسب نظرية بافلوف فإن التعلق يظهر بين الطفل ومقدم الرعاية الذي يقترن مع خفض التوتر، في البداية تكون الأم مثيرة محايدا واقتنائها بالأحداث السارة مثل التغذية تصبح مرغوبة ومشبعة لحاجة الطفل. اما على ضوء الاقتران الاجرائي يظهر التعلق كاستجابة متعلمة إلى السلوكات الفطرية للطفل كال بكاء والجوع والضيق تعمل معززات الام للعلاقة الارتباطية بين الرضيع وأمة وبهذا الشكل يتكون الامان العاطفي وقد أكد هذه النظرية العالم غيرويترز عام 1969 من خلال خبرات التعزيز الايجابية والاهتمام المتبادل بين الأم والابن يساعد على تشكل رابطة التعلق وتطورها ، ركز رواد النظرية السلوكية على ان النمو الإنساني يعتمد على السلوك الخارجي والظاهر على أساس المثيرات والاستجابات ونفت الاتجاه الذي يركز على الدوافع اللاشعورية من خلال هذا فإنها تبالغ بالتركيز على أثر البيئة وعمليات التعلم في تكوين شخصية الفرد وهذا ما تدعمه أعمال كلارك هال سنة 1952 حيث خلص ان الطفل يكتسب عادات الية من الارتباط الشرطي بين المثيرات والاستجابات التي تثار من حاجات ودوافع وهذا الاستجابات غير عشوائية بل هي لاشباع تلك الحاجات و التدعيم والتعزيز المتكرر يقوي تلك الارتباطات ويقسم هال الدوافع والحاجات الى نوعين حاجات ودوافع أولية مثل الحاجة الى الطعام والنوع وحاجات ثانوية مثل الحاجة الى النجاح والتقدير والأمن والحب ،(علي عبد الرحيم وحامد، 2021، ص ص 35-36)

3.6. النظرية الأخلاقية:



من بين أهم رواد هذه النظرية هو كونراد لورنز وهارلو حيث تم تفسير التعلم من خلال دراسة السلوك الحيواني فحسب فإنه تنشأ رابطة قوية بين المولود والأم خلال الأيام الأولى من الحياة في العديد من الطيور الملاحظة خلال دراسة (leblanc, 2007, p5) وقد أكد على أن العديد من الحيوانات منذ ولادتها تظهر لديها أنظمة سلوكية تساعدها على المحافظة على القرب الجسدي للصورة الأبوية الرئيسية. (Trabulsy .m, 2003, p6)

اقترح العالم الألماني هينروث مصطلح البصمة لتعيين الظواهر التي تلي عملية الفقس مباشرة ويقصد بالبصمة اتباع جميع الخصائص الأم ركز على الآليات المطبقة في البصمة وعلى هذا الأساس توصل إلى أن البصمة موجودة في كائنات أخرى مثل الثدييات وهذا السلوك يكون فطرياً حيث تتعلم البطة الصغيرة بشكل انتقائي على خصائص والدتها البيولوجية أو فرداً بديلاً وهذا بإقامة تجربته الشهيرة على الوز فقد اكتشف بعد الفقس تلاق أي جسم متحرك بدلاً من والدته وهنا حدد أربع خصائص البصمة هي:

✓ تحدث البصمة خلال الفترة الحرجة القصيرة من دورة الحياة .

✓ عند حدوثها لا يمكن التراجع عنها.

✓ تعتبر البصمة تعلم فردي.

✓ تؤثر البصمة على الأنماط السلوكية الغير مطورة في ذاكرة الكائن الحي.

هذا ما أكدته أعمال هاس ولارني اللذان يقران بأن التعلم عند صغار البط هو سلوك ابتكاري عادي وعند غياب التأثير فإنه لا يتعلم الاستجابة الاجتماعية المناسبة لنوعه وتتمثل تلك الاستجابة في التتبع سواء كانت الأم أو أي شيء يتحرك حتى وإن كان إنسان وقد أثبت هاس أن التعلم يتمثل في التتبع مع شيء متحرك كميكانيزم مخفض يقوم بالاستجابات التالية أما كالجيل سنة 1962 فقد توصل إلى أن التعلم لا يحدث إلا في فترة حاسمة من الولادة أي حوالي 24 ساعة بعد هذه الفترة فإن الحيوانات لا تتأثر ، أما أكثر الدراسات المعروفة عن التعلم لدى الحيوان قام بها هارلو وضع صغار القردة منذ الولادة في مجموعتين الأولى مع أم مصنوعة من الأسلاك المعدنية ومجموعة ثانية مع أم مصنوعة بقماش ناعم الملمس وزود كلتا الأمين بالرضاعة الصناعية توصل من خلالها إلى أن سلوك التعلم لا يتأثر بالغذاء وإنما بالملامسة فلقد تم ملاحظة صغار القردة تهرع مباشرة إلى الأم المصنوعة من القماش عند الفزع والخوف لأن الملامسة حسنة تقوم

بالتنشيط العاطفي تجاه الموضوع الذي يحل محل الأم وفي تجربة أخرى وضع صغار القردة في غرفة مع العديد من الألعاب فكانت القردة تبدي سلوكيات عادية مثل استكشاف الغرفة وتفحص الألعاب مع الأم الناعمة الملمس لكن مع الأم المعدنية المغطاة بالأسلاك

فإنها تقوم بتصرفات وسلوكيات تترجم مظاهر الخوف مثل الصراخ ووضع الرأس بين اليدين أن تأثير الملامسة الجسدية تساهم في التعلق وهذا ينطبق على تعلق الطفل بالأم بصورة مستقلة عن الرضاعة (فايز قنطار، 1992، ص 30).

بناء على هذه النتائج صرح هارلو بأن الاتصال المريح وليس إشباع حاجة الجوع هو المسؤول عن تشكيل رابطة التعلق ولذلك رفض تفسير فرويد المستند على مبدأ خفض الدافع، من خلال هذه الأبحاث يتبين أنه قد تم ربط بين عملية نمو الروابط الإنسانية بعملية التتبع والاثار أو البصم وقد ساد اعتقاد بان نمو علاقات التعلق لدى الإنسان تكون في فترة أو مرحلة عمرية محددة تكون ثابتة جامدة وهذه النظرة لم تكن في الغالب مؤكدة أو صحيحة فان البصم لا يختلف عن أي شكل من أشكال التعلم فتره اكتسابه غير محددة وتتأثر بالظروف البيئية المحيطة كما ان الاستجابات المترتبة يمكن تغييرها وهي في فترة محددة ومعينة مازال أمرا غير مؤكد (أبو غزال، 2015، ص 88)

تري المدرسة السلوكية أن سلوك التعلق سلوك مكتسب من خلال آليات التعلم، فالطفل في بداية حياته لا يملك ارتباطا انفعاليا بالأم، لكنها تتحول إلى مثير مشبع نتيجة اقترانها المتكرر بالأحداث السارة، مثل التغذية والاحتضان، ومن خلال الإشراف الإجرائي، تصبح استجابات الرضيع (كالبكاء والابتسام) وسائل للحصول على المعززات الإيجابية، مما يجعل العلاقة بالأم علاقة مكتسبة وظيفية، تبرز هذه المقاربة الدور المركزي للبيئة في تشكيل التعلق، وهو ما ينسجم مع الرؤية السلوكية العامة التي تفسر معظم السلوكيات الإنسانية باعتبارها نتاجا للتعلم والاقتران.

4.6. النظرية العصبية البيولوجية:

نتائج الأبحاث في علم الأعصاب والجينات أثبتت أن نظام التعلق يشمل العديد من المحاور المرتبطة على مستوى الدماغ مثل الاوكسيتوسين ومحو قشرة الغدة الكظرية ونظام المكافأة. أهمية الاوكسيتوسين تفرزه النواه فوق بصرية والبطينية من منطقة ما

تحت المهاد وتفرزه الغدة النخامية الخلفية وهو معروف بدوره في الرحم والغدة النثدية وينظم بواسطة استيرادات الجنسية ويلعب دور النقل العصبي في عدة مناطق دماغية مستهدفة يرتبط سلوك الأمومة والاكسي توسين ارتباطا ايجابيا من خلال زيادة ارتباط ارتباطهم بمستقبلات علاوة على ذلك هناك فكره الاليات التكميلية والمتزامنة بين الطفل والوالد مع مستويات المرتبطة بالسلوك العاطفي لدى الأم وسلوك التحفيز أثناء اللعب لدى الأب وكذلك النماذج الحيوانية سلوك الأمومة من من الام الى الابنة الكورتيزول والاستجابة للتوتر يلعب الكورتيزول دورا في نمو الخلايا العصبية منذ المراحل المبكرة من النمو ويمثل إفراز الكورتيزون استجابة تكيفية للتوتر يغير التوتر المتكرر لدى الأطفال كمية النواقل العصبية التي تنظم استثارة محور النخامية وبالتالي نجد تنظيم الكورتيزول بين الأطفال في مواقف التوتر المبكرة للأطفال في مواقف الإساءة ولكن دون تأثير على الاستجابة علاوة على ذلك يمكن استخدام التغيرات في نشاط القلب كمؤشر على تحديد النظام السلوكي أو التنشيط العاطفي في غياب مؤشر نظام التسارع معدل ضربات القلب عند الأطفال بغض النظر عن أساليب التعلق ولكن بشكل أكثر أهمية عند أميين غير الأطفال (BOISSIÈRE, Marie 2020, p23-24)

تري النظرية أن أنماطا معينة من السلوك لدى صغار الحيوانات تظهر بشكل تلقائي، وهي مبرمجة بيولوجيا لضمان البقاء، بناء على ذلك، تم النظر إلى التعلق كآلية بيولوجية فطرية تهدف إلى ضمان حماية الصغير من الأخطار من خلال قربه من مقدم الرعاية، تميز هذا الاتجاه بأنه أضفى بعدا تطوريا وغريزيا على التعلق، ما ساعد لاحقا في تفسير عالمية بعض السلوكيات التعلقية عبر الثقافات.

5.6. النظرية التطورية:

مؤسس هذه النظرية هو الطبيب النفسي الإنجليزي جون بولي الذي ولد سنة 1907 تعلم في مدرسة متقدمة للأطفال وتلقى تدريباً في الطب والتحليل النفسي بعد تخرجه من جامعة سنة 1928 تلقى تدريباً علمياً الشخصية وبالتزامن مع دراسة في الطب والطب النفسي عارض بولي افكار ميلاني كلاين من خلال تحليل التدريب النفسي للأطفال حيث تعتقد أن المشكلات العاطفية للأطفال راجعة الى الأوهام الناتجة عن الصراع الداخلي والدوافع بدلا من الأحداث في العالم الخارجي بعد ذلك توصل بولي بان

التجارب العائلية الفعلية هي السبب الأساسي للاضطراب العاطفي ولمواجهة افكار ميلاني كلاين اقترح تحليل نفسي لطبيعة الكائن الحي وخصائصه وتفاعلاته وركز على الام التي لديها صعوبات لتربية أطفالها ووضع لها مقابلات أسبوعية والتعامل معها بشكل تحليلي وتعاقب بواسطة التعرف على المشاكل والصراعات التي كانت هي تعاني منها الأم واستعادتها عندما كانت طفلة مجرد تقبل ذلك المشاكل والصراعات والتسامح ستصبح تلك الأم أكثر تعاطف وتسامحا مع ابنها. (INGE,1992, P1-2)

توصل جون بولي الى أن الانفصال الطويل عن الوالدين هو العامل الأساسي لظهور اضطرابات شخصية بعد تجربة مع 44 لصا شابا سنة 1944 وتميز هؤلاء الشباب بنوع من الشخصية الخالية من الحنان أو بدون عاطفة (SOPHIE ANNE , 2015, p 14)، تم تعيين بولي كطبيب نفسي عسكري ثم عمل في عيادة بلندن وعمل على تطوير قسم الطب النفسي للأطفال وفي عام 1946 وظف روبرتسون للعمل على آثار انفصال الأطفال في بيئة المستشفى ومن خلال هذا أكد روبرتسون ميل الطفل الى الاستجابة للحدث الانفصال عن الأم بطريقة نموذجية عندما يزيد عمره عن ستة أشهر وهذا عبر ثلاث مراحل الاحتجاج اني او مؤجل من بضع ساعات الى اسبوع على الاكثر يظهر الطفل اضطرابه عن طريق البكاء المتكرر، فقدان الامل تدريجيا في رؤية أمة يظهر عليه الحزن العميق والعزلة وقلة الحركة.

التعود على المحيط وهذا بقبول الرعاية والغذاء وعند عودة الأم يصعب عليه التعرف عليها. اليأس التجرد اكد الروبرتسون على تأثير الانفصال على الاطفال الذي تتراوح اعمارهم بين 18 و48 شهر وقد وثق كل هذا عن طريق التصوير. يرى بولي بأن المراحل العمرية الأولى للطفل تتكون علاقة عاطفية تمتاز بالدفع والحنان والاستمرارية مع الأم او مقدم الرعاية وهي مصدر الرضا والفرح لكليهما (GALLIEN, 2006, p 1.2) في سنة 1951 أكد بدور الشبكات الاجتماعية والعوامل الاقتصادية والصحية في تطوير علاقات جيدة بين الأم والطفل، ولم يكن راضيا عن وجهة نظر التحليل النفسي في تفسير العلاقة بين الأم والطفل التي ارجعها الى الاشباع الشفوي الحسي ولم يتفق مع ادعاء نظرية التعلم الاجتماعي بأن التبعية تقوم على التعزيز الثانوي فقد كان يتمسك بمفهوم

الفترات الحرجة في التطور الجنيني وكان يبحث عن ظواهر مماثلة على المستوى (INGE, 1992, P.P 6.7) السلوكي توصل بأن التعلم يمر بأربع المراحل .

مرحلة عدم التمييز: يعتمد الرضيع على المنبهات الشمية والسمعية للتمييز بين شخص وآخر وتشمل كذلك الاتجاه بتتبع حركات العينين والامساك والوصول والابتسام وغالبا يتوقف عن البكاء عند سماع صوت او رؤية وجه وتمتد هذه المرحلة في الغالب من الولادة الى 12 اسبوعا (BOWLBY, 1982, p 223) ، هذه السلوكيات تعزز وتزيد من التقارب وتحافظ على الاتصال مع الأشخاص المحيطين وتصلوا هذه المظاهر السلوكية الى الحد الاقصى من التواصل الاجتماعي في الشهر الثالث لان هذا الوقت يكون بة الأطفال قادرين بالفعل على التفريق التعرف على الشكل البشري وإظهار ابتسامة اجتماعية مقصودة. (SUZANA ET EZABELLE, 2007, P.5)

مرحلة التمييز: في اعتقاد بولي أن سلوك الطفل يتغير ابتداء من الشهر الثالث لاعتباره ان الاستجابات الاجتماعية لدى الطفل تصبح أكثر انتقائية بين الشهر الثالث والشهر السادس باقتصار ابتسامته على الأشخاص المألوفين لة (وليام كرين، 1996، ص 69) والملاحظ في هذه المرحلة هو وجود تغيير في قدرة الطفل على مد ذراعية والتمسك وتوجيه نفسه نحو الشخصية المحتملة للارتباط وكذلك القدرة على التفريق بين الأشخاص المألوفين والغرباء في الشهر الرابع او الخامس يستطيع الطفل تتبع امة الى الغرفة بواسطة البكاء ويبدأ ملاحظة التسلسل الهرمي في الأشخاص الذين يعتنون بة وبداية تمييز شخصية التعلم. (ANNESOPHIE, 2011, PP182-183)

مرحلة التعلم المكثف: في هذه المرحلة تتطور علاقة الطفل بشخصية التعلم مع تطور مهاراته الحركية وقدراته المعرفية والتواصلية حيث يتمكن من الاقتراب من والدته ومتابعتها والبحث عنها ومن خلال هذا الاقتران يتشكل الارتباط وتكوين علاقة مع الآخرين وهذا يسمح لة باستكشاف العالم من حولة وعند إحساسه باي تهديد او خطر يقوم بالعودة للاقتراب بأمة التي تعتبر بالنسبة لة ملاذ آمن ويتمثل هذا التهديد في الخوف من شخص غريب والقلق من الانفصال فيتوقف الطفل من جميع نشاطاته ويمكن للطفل ان يتفاعل مع الشخص الغريب اذا راه محسنا وغير مؤذي ولكن مع المحافظة على مستوى

معين من اليقظة وعلى هذا فان التوازن ديناميكي بين سلوك التعلق وسلوك الاستكشاف (REMAN, 2015, pp 17-18).

المرحلة الرابعة: من السنة الثالثة الى نهاية الطفولة في هذه المرحلة ستدخل صوره الام وتصبح نموذجا داخليا عاملا وهذا عند امكانية الطفل على تحمل غياب الأم والسير نحو درجة أكبر من الاستقلالية إذ يعتبر سلوك التعلق اقل الحاحا وتكرار هذا التغيير إلى درجة من التكيف وطبيعة العلاقات المكونة مع الآخرين الغير مألوفين مثل أطفال دور الحضانة يستطيع الطفل الشعور بالأمن في مكان غريب عليه واشخاص آخرين غير الأم تربطة بهم علاقة ما وهذا ما يعزز مشاعر الأمن الطمأنينة وكل هذا ضمن معرفة الطفل لمكان الأم وأن الانفصال مؤقت (مدوي يمينه، 2015، ص 75).

قدمت النظرية التطورية تفسيراً أكثر شمولاً للتعلق، حيث اعتبرته نظاماً تحفيزياً سلوكياً يهدف إلى تمكين الطفل من تحقيق الأمن الداخلي والنجاة من الأخطار، هذه العلاقة لا تقتصر على الطفولة، بل تمتد على طول حياة الفرد، بحيث تستمر أنماط التعلق في التفاعل مع البيئة المحيطة، وقد أكد John Dewey على استمرارية هذا النظام عبر الزمن، مما جعله إطاراً تفسيرياً يجمع بين البيولوجي والاجتماعي والوجداني.

7. تعريف التعلق:

ظهر هذا المصطلح لأول مرة في سنة 1958 عندما صاغ جون بولبي نظرية التعلق في ثلاث مجلدات بعنوان التعلق والفقد عامي 1960 و1980 افترض ان الام وابنها يرتبطان غريزيا لان المولود له قاعدة من السلوكيات مثل الصراخ والابتسام والغرغرة وعندما يكبر قليلا يتبع امه زحفا او حب او مشيا ليكون قريبا منها إذا كانت الغريزة هي القوة الأولية مسؤولة عن وجود ظاهرة التعلق ومع النمو تتحول وتحلها الضوابط الاجتماعية (الريماوي، 2003، ص 145)، وفي سنة 1969 وصف بولبي التعلق على انه ناتج عن سلوكيات تسعى الى التقرب الى شخص معين والحفاظ عليه أي عبارة عن نظام وظيفي تحفيزي يصبح للطفل الصغير بخلق علاقة مع الآخرين لتلبية حاجاته وبهذا المفهوم فان بولبي يبتعد عن مفاهيم النظرية التحليلية التي تعتبر أن احتياجات الجسم هي الدافع الأساسي والوحيد لذلك الارتباط والعلاقة (laskar, 2017, p16) أي أن التعلق هو آلية منظمة تركز على سلوكيات عديدة التي بواسطتها تمكن الطفل من الحفاظ على القرب

من مقدم الرعاية الأساسية الذي عادة ما يكون الأم خاصة في المواقف العصبية، ويعرفه شيفر بأنه تلك العلاقة الموجودة بين فردين التي تحتوي على تبادل العواطف ويكون التعلق عادة بين الطفل ومقدم الرعاية من خلال مجموعة من الاكتشافات الفطرية مثل الابتسامة والتحديق التي يبديها الأطفال للآخرين ، اما بابا ليا ورفاقه فقط اقروا بأن التعلق هو رابطته انفعالية تبادلية اذ ان الرضيع يقوم بسلوك مثل البكاء والابتسام إذا كانت استجابة الام بدفء وسعادة اتصال جسدي دائم فإن هذا يعني لدى الرضيع قيمة تكيفية تضمن له حاجاته ومن هنا تتحدد نوعية تلك العلاقة حسب سلوكيات الطفل واستجابات مقدم الرعاية (أبو غزال، 2015، ص 86)، كما يعرف التعلق من قبل أينسورث بأنه تلك الرابطة الوجدانية المستمرة نسبيا لوجود رغبة في الحفاظ على تلك الرابطة من طرف الطفل المقدم الرعاية ويكون التعامل متبادلا بينهما (علاء الدين كفاي، 1997، ص 199)، تماشيا مع عمل جون بولي وماري أينسورث فإنه كلما ازدادت العلاقة الارتباطية بين الطفل الرعاية كلما سمح للطفل باستكشاف البيئة بشكل مستقل وهذا ما سعي بالأمان الأساسي المكتسب أثناء الطفولة وهذا ما يسهل في بناء علاقات مطمئنة في المراحل العمرية المستقبلية (شاكلاند، 2020، ص2)

8. دينامية التعلق:

1.8. العلاقة الاولى:

البيئة المحيطة بالطفل مهمة للغاية في تطوير الأنظمة السلوكية التي تسمح بتكوين التعلق وأنماطه في أول الأمر تكون علاقات الارتباط مع الشخصية الرئيسية مثل الأم أو مقدم الرعاية وذلك الارتباط الأولي هو كيف تطوري أساسي في حياة الطفل من المنظور الوراثي ثم تطور الطفل نظام التعلق بطريقة تضمن له الأمن والحماية ويعمل من حيث المبدأ كملاذ آمن ومصدر للراحة والحماية في سباقه تنشيط الفيزيولوجي او التهديد البيئي وقاعدة امنة لاستكشاف ومن هذا المنظور يميل الأطفال الى التعلق بالاشخاص المهتمين بهم (souzana, 2007, pp 4.5)، في العلاقة الأولى للطفل تكون الأم هي شخصية التعلق الاول حسب تفاعلها وعلاقتها مع الرضيع تكون نوعية وجوده التعلق الذي يسهل تطوير الشخصية وخلق ما يسمى التوازن الانفعالي والعاطفي وتكون هذه العلاقة الأولى من خلال عدة وسائل وطرق للتعلق منها.

2.8. التعلق الصوتي والبصري:

عند ولادة الطفل فإن الأم هي المصدر الرئيسي حاجاته الفيزيولوجية كالأكل والشرب والاعتناء والحماية وتقديم الرعاية بكل أنواعها وهذا ما يسمح له بتكوين قاعده امدة لاستكشاف العالم الخارجي وتقوم الام كذلك باشباع الطفل من الحاجات النفسية التي من خلالها تحاول التعرف على طفلها وفهمه عن طريق كيفية صراخه وبكائه وابتسامته ومناغاة وابداء الاحترام له والاعجاب بادائه لتشجيعه وعند القيام الام بتلبية هذه الحاجات فانها تتحدث وتنظر الى طفلها وهذا ما يؤثر على الطفل ويعتبرها كقدوة ودعم ان الصوت والنظره تشكل لدى الطفل مفاهيم الفضاء والمسافة التي ينتمي اليها امكانية التعرف على القرب والبعد والرغبة والنفور يتعرف الطفل على صوت والدته منذ الولادة بدليل هدوءه بمجرد سماع صوتها وتوجية نظراته اليها ومن هنا يبدأ التواصل اللفظي وغير اللفظي ويتعزز الاستيعاب اثناء استمرارية التأطير وتمثيل الأفكار من طرف الأم الذي يؤدي إلى التشبث الحسي تساهم النظر في تنمية القدرات العقلية والنفسية للطفل الذي يكون حساسا جدا في الأيام الأولى من مراحل النمو فعند توجية الأم لنظراتها الدالة على الرعاية فينتج عنه الكثير من الراحة والإحساس بالأمان حسب حاج فان تدخل النظرات بين الأم وطفلها تعتبر تجربة أساسية ومفيدة للطفل التي تقوي القدرة النفسية والجسدية وهذا بتعلم الطفل حيز النظر والخبرات الحسية وهذا يسمح بتكامل الحدود الجسدية ببناء وحدته النفسوجسدية وهذا ضروري للنمو الجيد (souchon .m, 2012, pp11-12).

3.8. التعلق الجسدي:

التعلق هو تلك الرابطة التي تتكون بين الأم والطفل منذ الولادة تتكون تلك الرابطة عن طريق سلوكيات فطرية تسمح له بالحصول على القرب تتمثل في الصراخ والبكاء خاصة في حالات القلق وعدم الراحة والانزعاج لطلب المساعدة والنجدة من طرف الشخص البالغ القريب منه غالبا ما يكون أحد الوالدين مع مرور الأيام فإن الطفل يقوم باختبار ذلك التدخل من طرف مقدم الرعاية الذي يجلب له الراحة ويهدأ من ضيقه مما يسمح له بالعثور على حالة من التوازن هذا التدخل بالقرب والتحدث والنظر يتولد لدى الطفل شعور التجربة العاطفية هنا في هذه الحالة يقوم الطفل بالربط بين القرب

الجسدي والتجربة العاطفية الداخلية للامان ويتعلق بالاشكال التي تلي الحاجة للامن الى التقرب البدني (guedeney.n-m et lamas, 2008, p13)

يؤكد الطبيب برجمان ان الموطن الطبيعي للطفل بعد الولادة مباشرة هو جسد الام وعند فصلة عن هذا الموطن يكون لديه رد فعل الاحتجاج والياس مثل باقي الثدييات وتكون لديه اعراض فيزيولوجية ظاهره مثل انخفاض معدل ضربات القلب ودرجة حرارة الجسم وانتاج كبير بهرمونات التوتر وبمجرد لم الشمل مع امة تنخفض تلك الاعراض واطهرت الابحاث ان التلامس الجلدي بين الام والطفل يقلل من انتاج هرمون التوتر بنسبة 74% ركزت الدراسات حول التواصل الجسدي بين الرضيع والام اثناء الرضاعة ان التلامس الجدي اثناء الرضاعة الطبيعية يساعد على التواصل بين الأم والطفل عن طريق الشفتين ومراقبة الوجه والعينين وحركات اليدين والأصابع لاستكشاف جسد أمة وهذا يتم بناء وتنظيم التصورات الأولية في سنة 1990 أجرى باحثون من كلية الطب والجراحة في جامعة كولومبيا دراسة حول اثار الاتصال الجسدي الوثيق على الرابطة بين الأم والطفل على 23 ام خرجنا من جناح الولادة مع حاملة اطفال من القماش الناعم و26 ام خرجنا مع مقعد بلاستيكي مكسي دافئ وجاءت النتائج بتسجيل استجابات كثيرة ومتنوعة وتبادل اللفظ مع اطفالهم ولهذا تكون لدى الاطفال ارتباط آمن بنسبة تقدر ب 83% من المجموعة الاولى اما بالنسبة للمجموعة الثانية قدرت نسبة الارتباط الأمن ب 38% والباقي ظهر لديهم سلوكيات تجنب الاتصال الجسدي مع امهاتهم. (claudé .d, 2019, pp 2-3)

4.8. الرابطة التفاعلية:

شدد فرويد على أهمية العلاقة بين الأم والطفل في ظهور الأنا وبناء الشخصية أما بولي ركز أبحاثه حول التطور الاجتماعي والعاطفي للأطفال وغالبا ما يشار الى نظرية التعلق النظرية الكبرى الاجتماعية العلائقية وقد أظهر وينكوت وفرويد قدرة الأم على مساعدة طفلها على تحمل الضغوطات التي لا يستطيع تحملها بمفرده توصلت جميع أبحاث هؤلاء العلماء الباحثين الى ضرورة الوعي بالحاجة الى الوصول الى علاقة متميزة بين الطفل والأم وقد أبرزوا أيضا أهمية الروابط الاجتماعية الاولى لدى الاطفال وقيمتها التنبؤية في مجالات متعددة من الأداء النفسي طوال الحياة. (Catherine .p, 2010, p1)

في سنة 1997 يفترض بي أن عدم القدرة على ملاحظة التعلق والترابط بشكل مباشر بسبب تداخلهما ويقدم ثلاث مراحل بناء التعلق من خلال إظهار سلوكيات كل موضوع مرحلة التوجية عند الولادة يظهر الرضيع سلوكيات فطرية وهي:

✓ مرحلة التحضير: لا يفرق الطفل صوت امه بل يتجة نحو وجة الام تكون هذه المرحلة من 0 الى ثلاث اشهر.

✓ مرحلة التركيز: ابتداء من ثلاث أشهر يبدأ الطفل بالتمييز بين الام والشخص البديل ويبدأ في اظهار السلوكيات التعلق من خلال الابتسام والتفاعل مع الأشخاص المقربين هذه المرحلة حتى سن ستة اشهر.

✓ مرحلة التوطيد: لا يشكل التعلق الحقيقي الا من عمر ستة اشهر في هذه المرحلة يبدأ الطفل بالبحث عن الشخص الذي يعتني به في المراحل العصبية ويحسن كذلك التفاضل ويتجة سلوك الطفل نحو الشعور بالأمان خلال 6 الى 10 أشهر يظهر الخوف أمام شخص مجهول يكتشف رد الفعل هذا بين 12 الى 16 شهر ويبدأ تدريجيا في الاختفاء من 18 شهر مع نهاية العامين يظهر شعورا بالأمن مع الشخص المختار، يصف برانداو سنة 2003 التعلق بأنة رابط عاطفي بين شخص واخر يولد شعورا بالأمن وموجودا بكلا الاتجاهين تشعر الأم أنها بحاجة الى تبعية طفلها من اجل اظهار توازنه النفسي ويتمكن من تحقيق النمو النفسي والاجتماعي المتكيف وتطوير ارتباط آمن. (souzana .f, 2014, pp 22.23)

5.8. الرعاية الوالدية:

يعرف بولي سنة 1988 تقديم الرعاية بانه الجانب الابوي للتعلق وهي القدرة على رعاية شخص اصغر سنا واكثر هشاشة والقيام بمنحة الرعاية جسديا وعاطفيا أو من يحمل محلهم ينتج عنه التوازن الدينامي استخدم كاسيدي مصطلح نظام الرعاية لوصف محددات سلوكيات الوالدين استجابة لضيق الطفل او احساسه بالخطر وتهدف هذه الاستجابات الى تقديم القرب والراحة لهذا عند اصدار الطفل إشارات داخلية وخارجية يفسرها الوالدان أو بدائلهم على انها اشارة انذار تنشط نظام تقديم الرعاية والغائة عند شعور الطفل بالراحة (laskar .m, 2017, p19).

شارك وينكوت من علم السلوك فكرة أن الرضيع لا يمكنه البقاء على قيد الحياة والتطور بدون شخصية أبوية توفر له رعاية متسقة وحميمية كما أثبت بأن التعلق في البشر كما في الحيوانات هو حاجة أساسية محددة بيولوجيا وتعتبر الرعاية مرضية عندما تلي الاحتياجات الفيزيولوجية والبيولوجية لهذا أكد بولي سنة 1978 على أهمية الروابط الشخصية الأولى بين الأم والطفل التي تساهم في التطور الاجتماعي والعاطفي (Catherine, 2010, p3)، إن التفاعل بين الوالدين والطفل يؤدي الى تطوير القدرات النفسية والجسمية والاجتماعية للطفل، من خلال دينامية التعلق واستعمال جميع الوسائل والطرق العلائقية الجسدية او البصرية والصوتية ويكون هذا التفاعل بالمعاملة بالمثل والتبادل الذي يطلق عليه في الاونة الاخيره التزامن الذي يحدد عناصر التفاعل يعرفه فيلدمان سنة 2007 بأنه عملية التنسيق الحسي والهرموني المتبادل باستمرار بين الافراد المتفاعلين، التزامن بين الوالدين والطفل يتكون من التنسيق الزمني للسلوكيات اللفظية والغير لفظية والتكيف المتبادل عن طريق النظرات والتأثير اللمسي ومستوى التحفيز والحركة والقرب وهفوات الزمن بين الفعل ورد الفعل وفقا لرينا وبيكلر سنة 2009 فإن اكتساب القدرة على التكيف والحفاظ على التوازن يكون بفضل التزامن لأنه بمثابة مقدمة لتطوير ضبط النفس وهذا يسهل التنشئة الاجتماعية والعاطفية والمعرفية (valeria, 2020, p 6).

حسب فوناغي سنة 2002 هي التفاعل الخاص جدا بين الطفل ومقدم الرعاية اي استجابة الوالدين على نفس السجل العاطفي غير اللفظي مثل التقليد والعرض وهذا يسمح للطفل بالشعور على قدرته على التعبير عن مشاعره السلبية وفهمها دون ان يطغى عليه التعبير الوالدين الذي قد يشوهمها وبالتالي لا يعيشها هذه الاستجابة مرتبطة بتقسيم اشارات الطفل وتفسير الوالدين لها وحسب جروس مان سنة 2008 فان خصائص الرعاية الالدية هي قدره على دعم الاستكشاف لطفلة بطريقة حساسة ومنحة ثقة واقعية بالنفس في المواقف الجديدة ويكون هذا الدعم بدون التطفل واحترام قدرات الطفل والمساعدة في تنظيم الاثارة او الفرح مما يساعد على تنظيم المشاعر الايجابية والسلبية للطفل والحفاظ على تركيز الفرد اثناء التنبيه يساعد الوالدين في تعزيز التعاون وتطوير حل مستقل للمشكلات حتى عندما يكون تحت الضغط اشارت كارين 1998 على اهمية

التجارب للطفل ويجب فهمة بدل معاينة والتعبير عن الغضب وعدم الرفض والخوف ورؤية خوفاً تأخذ على محمل الجد والشعور بالحزن والالتفاف للتعبير عن عدم الثقة بالنفس والاجتماع الى الآخر وعدم الحكم عليهم والتشجيع والاطمئنان لتعزيز احترام الذات ان الرعاية الوالدية، هي في الاساس قدره على التعبير على المشاعر سواء كانت ايجابية او سلبية لاحتوائها وتصنيفها وتفسيرها ومن ثم حلها وتكون هذه قدره عن طريق التفكير العقلاني للوالدين لجعل تلك المشاعر قابلة للتكامل والفاعلية وخاصة عند وجود مقدم الرعاية تحت الضغط وتسمى قدره الابوية العاكسة (nicol, 2011, pp135.136)

حسب جورج وسولومون سنة 1999 فإن نشأة نظام الرعاية يتأثر بعده عوامل الهرمونية وثقافية والدعم الاجتماعي والعلاقة الزوجية لقد اثبتت الابحاث وجود انتقال التمثيلات الارتباط من الوالدين إلى الطفل من خلال سلوكهم والقدرة على التمييز الحالة العقلية لطفلم بما يسمى بالوظيفة الانعكاسية ويمكن اعاقه الاداء الامثل مقدمي الرعاية عن طريق التمثيلات الغير امنة للوالدين الناشئة عن التجارب السابقة (Guedeney et mistycki, 2007, p5).

9. المنهج والإجراءات :

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات النظرية التحليلية التي تهدف إلى تفكيك وتحليل البناء المفاهيمي لظاهرة التعلق عبر مقارباتها المختلفة، تم اعتماد المنهج التحليلي المقارن الذي يتيح تحليل المضمون النظري للنظريات، وتحديد خلفياتها ومفاهيمها الأساسية، ثم مقارنتها لاستخلاص أوجه التشابه والاختلاف والتكامل.

10. أدوات التحليل:

- ✓ التحليل المفاهيمي للمفاهيم الأساسية المرتبطة بالتعلق.
- ✓ المقارنة المنهجية بين المقاربات من حيث المنطلقات والوظائف.

11. التحليل والمناقشة:

يمثل مفهوم التعلق أحد الركائز الأساسية في فهم النمو النفسي والاجتماعي للطفل، إذ يشكل الإطار المرجعي الذي يفسر طبيعة العلاقة بينه وبين مقدم الرعاية الأساسي، وقد شهدت الساحة العلمية تنوعاً في المقاربات النظرية التي حاولت تفسير هذه

الظاهرة، مما يعكس ثراء معرفيا من جهة، واختلافا في المنطلقات التفسيرية من جهة أخرى، ويمكن تمييز أربع مقاربات مركزية في هذا السياق: المقاربة البيولوجية الفطرية، والمقاربة السلوكية، والمقاربة المعرفية – الاجتماعية، والمقاربة النفسية التحليلية.

تنطلق المقاربة البيولوجية الفطرية كما صاغها John Bowlby من فرضية أساسية مفادها أن التعلق سلوك فطري متجذر في البنية البيولوجية للإنسان، فالطفل يولد مزودا بآليات فطرية تدفعه إلى البحث عن القرب من شخص محدد، عادة ما يكون الأم، بهدف الحصول على الأمان والحماية، ويرى هذا الاتجاه أن التعلق ليس مجرد استجابة عاطفية مؤقتة، بل هو نظام سلوكي تطوري يضمن بقاء الكائن البشري، وبشكل هذا القرب أساسا لتطور نموذج داخلي منظم للعلاقات المستقبلية، بحيث تؤثر نوعية العلاقة الأولى بين الطفل ومقدم الرعاية في بناء شخصيته، وأنماط تفاعله الاجتماعي لاحقا، ويعتبر هذا المنظور أن الدافعية للتعلق لا تعتمد بالضرورة على الإشباع المادي مثل الطعام، بل على الحاجة النفسية للأمان، مما يبرز عمق البعد الفطري لهذه العلاقة.

أما المقاربة السلوكية، التي يعد كل من B. F. Skinner و John B. Watson من أبرز روادها، فقد فسرت التعلق من زاوية مغايرة تماما، إذ ترى أن سلوك التعلق لا ينشأ من استعداد فطري، بل يتكون من خلال عمليات التعلم والارتباط الشرطي، فالطفل لا يتعلق بالأم لكونها مصدر أمان فطري، بل لأنها تعزز سلوكه من خلال تلبية حاجاته الأساسية، كالإطعام والرعاية، فالأم تصبح بالنسبة إليه "مثيرا مشروطا" يرتبط في ذهنه بالإشباع والراحة، مما يولد شعورا بالارتياح والارتباط العاطفي، بهذا المعنى، فإن التعلق حسب السلوكيين ليس حاجة مستقلة، بل نتيجة ثانوية للتعزيز الإيجابي، ويلاحظ أن هذه المقاربة ركزت على العوامل البيئية والخارجية، في مقابل تجاهلها النسبي للعمليات النفسية الداخلية.

أما المقاربة المعرفية – الاجتماعية، التي تأثرت بأعمال Albert Bandura، فقد سعت إلى التوفيق بين العوامل الخارجية والداخلية من خلال التركيز على الدور المحوري للتفاعل الاجتماعي والعمليات المعرفية في بناء العلاقة التعلقية، فالطفل يتعلم من خلال ملاحظته لسلوك مقدم الرعاية واستجاباته، ويكون عبر هذه الخبرات تمثلات ذهنية للآخر الموثوق، كما تؤكد هذه المقاربة أن التعلق يتطور كلما زادت التفاعلات الإيجابية

المتبادلة بين الطفل ومقدم الرعاية، وأنه ليس مجرد استجابة شرطية، بل عملية معرفية – اجتماعية معقدة، فالطفل يصبح قادراً على توقع استجابات الآخر، وبناء أنماط من الثقة أو عدمها وفقاً لخبراته المتكررة، وهذا المنظور أتاح فهماً أكثر ديناميكية لطبيعة العلاقة بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، في المقابل، قدمت المقاربة النفسية التحليلية كما طرحها Sigmund Freud رؤية مختلفة جذرياً، إذ فسرت التعلم انطلاقاً من نظرية الدوافع الغريزية، فالطفل يتعلق بالأم لأنها تمثل موضوع إشباع لحاجاته الغريزية الأولية، خصوصاً الحاجة إلى الطعام، وبما أن الإشباع يرتبط بالأم، فإنها تتحول إلى "موضوع تعلق" أساسي، كما أن هذه العلاقة الأولى تشكل حجر الأساس لنمو الحياة النفسية والعاطفية للفرد، وينظر إلى التعلم، من هذا المنظور، على أنه جزء من البنية اللاواعية للشخصية، يؤثر في تكوين الأنا والهوية النفسية للفرد، كما أن نوعية هذه العلاقة قد تحدد إلى حد كبير ملامح العلاقات العاطفية المستقبلية.

بمقارنة هذه المقاربات يتضح أنها تنطلق من منطلقات متباينة، لكنها في الوقت ذاته تتكامل في تفسير أبعاد متعددة لظاهرة واحدة، فبينما تؤكد المقاربة البيولوجية على الفطرة والاستعدادات الطبيعية، تركز السلوكية على دور البيئة والتعزيز، فيما تضيف المقاربة المعرفية – الاجتماعية بعداً تفاعلياً دينامياً، في حين تغوص المقاربة التحليلية في أعماق اللاوعي والدوافع الغريزية، ويعكس هذا التباين ثراء المفهوم، إذ لا يمكن اختزاله في بعد واحد فقط، فالتعلم يتأثر بعوامل بيولوجية داخلية، وتجارب بيئية خارجية، وتفاعلات معرفية – اجتماعية، إضافة إلى البنية اللاواعية للشخصية.

التعدد النظري لا يعد تضارباً بقدر ما هو تعبير عن تنوع زوايا الرؤية لمفهوم معقد ومتعدد الأبعاد، فكل مقاربة تسهم في إبراز جانب محدد من الظاهرة، مما يسمح بتكوين صورة أكثر شمولية، وعليه يمكن القول إن الفهم المتكامل للتعلم لا يتحقق بالاعتماد على نظرية واحدة، بل من خلال الجمع بين العناصر التفسيرية التي تقدمها هذه المقاربات المختلفة، وهو ما يمكن الباحثين من بناء تصورات أكثر عمقا ودقة حول طبيعة هذه الظاهرة.

12. الاستنتاج:

- ✓ تعدد الأبعاد المفسرة للتعلم: لم يعد ينظر إلى التعلم بوصفه ظاهرة أحادية البعد، بل كمفهوم معقد يتقاطع فيه البيولوجي مع النفسي والمعرفي والاجتماعي.
- ✓ التطور من الجزئي إلى الكلي: انتقل فهم التعلم من تفسيرات ضيقة (غريزية أو سلوكية) إلى تفسيرات شمولية مدمجة.
- ✓ إرساء أساس علمي تجريبي: بفضل نظرية التعلم الحديثة، أصبح بالإمكان دراسة الظاهرة بطريقة منظمة، قابلة للملاحظة والقياس، دون إغفال بعدها الانفعالي والمعرفي.
- ✓ تحول في النظرة إلى العلاقة المبكرة: لم تعد علاقة الطفل بمقدم الرعاية تفهم فقط بوصفها تلبية لحاجات أنية، بل بوصفها علاقة تأسيسية تبني نماذج داخلية للعلاقات المستقبلية.

13. التوصيات:

- ✓ تشجيع الدراسات التكاملية متعددة التخصصات التي تجمع بين المنظور النفسي والاجتماعي والعصبي – البيولوجي، من أجل بناء نماذج تفسيرية أكثر شمولاً ودقة.
- ✓ القيام بأبحاث عبر ثقافات مختلفة لفهم مدى عمومية أنماط التعلم وتحديد تأثير العوامل الثقافية والاجتماعية على تشكل هذه الأنماط.
- ✓ توسيع الربط بين نظرية التعلم ومجالات تطبيقية مثل التربية المبكرة، والإرشاد النفسي، والصحة النفسية، بهدف تحويل المعرفة النظرية إلى ممارسات عملية فعالة.
- ✓ مراجعة السياسات التربوية والرعاية في مؤسسات الطفولة المبكرة لضمان توفير بيئة آمنة تساهم في بناء أنماط تعلم آمنة وصحية.
- ✓ تشجيع الدراسات الطولية التي تتبع الأفراد عبر مراحل الحياة، لتحليل العلاقة بين أنماط التعلم المبكر وأنماط التكيف النفسي والاجتماعي في مراحل لاحقة.
- ✓ التركيز على الأبعاد الإيجابية للتعلم الآمن بوصفه عاملاً وقائياً مهماً في تعزيز الصحة النفسية والقدرة على التكيف.

14. الخاتمة:

أظهرت المراجعة التحليلية للمقاربات النظرية المفسرة للتعلم أن هذا المفهوم يعد من الركائز الأساسية في علم النفس، نظرا لارتباطه الوثيق بالنمو الانفعالي والاجتماعي والمعرفي للفرد، فمن خلال تتبع تطور النظريات يتضح أن فهم التعلم قد مر بمسار معرفي طويل، انتقل من تفسيرات أحادية ضيقة النطاق إلى رؤية أكثر شمولاً وعمقا، فالمقاربات المبكرة مثل التحليلية النفسية والسلوكية كانت تفسر التعلم استنادا إلى الحاجات البيولوجية والدوافع الغريزية أو عمليات التعلم والتعزيز، وهي رؤية ساهمت في تأسيس الاهتمام العلمي بالظاهرة، لاحقا أعادت المقاربة المعرفية تشكيل النظرة من خلال إبراز دور البنية الذهنية والتمثيلات الداخلية في تنظيم العلاقة التعلقية، وهو ما جعل الفهم أكثر ديناميكية ودقة، أما المقاربة التطورية فقد أضافت بعدا تكيفيا، معتبرة التعلم آلية بقاء ذات جذور بيولوجية مشتركة بين البشر، وفي مرحلة أكثر تقدما، جاءت نظرية التعلم التي طورها John Bowlby و Mary Ainsworth لتقدم إطارا تكامليا يجمع بين العوامل البيولوجية والانفعالية والمعرفية والاجتماعية، لقد شكلت هذه النظرية نقلة نوعية لأنها مكنت الباحثين من دراسة الظاهرة بطريقة علمية دقيقة وقابلة للقياس دون إغفال أبعادها الإنسانية العميقة.

هذا التطور النظري المتدرج يكشف أن التعلم ليس مجرد استجابة ظرفية في مرحلة الطفولة، بل بنية نفسية مستمرة تؤثر في أنماط العلاقات الاجتماعية، وتنظيم الانفعالات، وبناء الشخصية، كما يعكس غنى المقاربات النظرية حوله تنوع زوايا النظر إلى الإنسان وعلاقاته، ويظهر أن تكامل هذه الرؤى يوفر فهما أعمق وأشمل للظاهرة.

15. قائمة المراجع:

1. ابو غزال معاوية محمود. (2015). علم النفس العام. ط2. دار وائل. عمان-الأردن.
2. عبد الرحمن العيساوي. (1993). مشكلات الطفولة والمراهقة أسسها الفيزيولوجية والنفسية. ط1. دار العلوم العربية. بيروت-لبنان.
3. عبد المعطي حسن مصطفى. (2001). الاضطرابات النفسية في الطفولة والمراهقة. ط1. مكتبة القاهرة. القاهرة-مصر.
4. علاء الدين كفاقي. (1997). رعاية نمو الطفل. دار قباء. القاهرة-مصر.

5. علي عبد الرحيم صالح، وحامد عاجل عبد الخالق. (2021). *سيكولوجية التعلق*. ط1. دار مسامير. العراق.
6. فايز قنطار. (1992). *الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والام*. ط1. عالم المعرفة. الكويت.
7. محمد عوده الرймаوي. (2003). *علم النفس النمو الطفولة والمراهقة*. ط1. دار المسيرة. عمان-الأردن.
8. مدوي يمينه. (2015). *اشكاليه التعلق لدى الطفل*. مجله الدراسات والبحوث الاجتماعية. 3(4). 66-80. <https://asjp.cerist.dz/en/article/81594>.
9. ويليام كرين، ترجمة: محمد الأنصاري، ورجاء أبو علام. (1996). *نظريات النمو ومفاهيم وتطبيقات. الجمعية الكويتية للتقدم الطفولة العربية. الكويت*.
10. Anne Sophie & Barby mintz. (2011). *de l'apport de la théorie de l'attachement aux soins camps*. Sciences Humaines et Sociales. N°34- 35. 179-197. DOI 10.3917/cont.034.0179
11. Boissiere Marie. (2020). *attachement et Trouble de l'attechenant chez l'enfant place*. (Thèse doctorat Publié). Université de Bordeaux. France.
12. Bowlby, J. (1982). *Attachment and loss: Retrospect and prospect*. American Journal of Orthopsychiatry. 52(4). 664–678. <https://doi.org/10.1111/j.1939-0025.1982.tb01456.x>.
13. Catherine potrad. (2010). *liens et sexuels est estime de soi entre parents et adolescents*. (Thèse doctorat Publié). Université François rabe lais-tours. France.
14. Dominique Colin. (2016). *Mouvement de grandir et quête d'une identité personnelle : le modèle développemental d'Erikson*. Researchgate. 44(2):75-91. DOI: 10.3917/cont.044.0075.
15. Gallien Elise. (2006). *le lien d'attachement et son Evolution : concepts et incidences psychopathologiques*. (Thèse doctorat Publié). Faculté de médecine. ANGERS-france.
16. Inge Bretherton. (1992). *The Origins of Attachment Theory: John Bowlby and Mary Ainsworth*. The American Psychological Association, Inc. 28(5). 759-775

17. Mistycki V, Guedeney N. (2007). *Quelques apports de la théorie de l'attachement: clinique et santé publique*. Rech Soins Infirm. 2007 Juin (89) : 43-51. <https://www.lissa.fr/rep/articles/17674612>.
18. Myriam Laskar. (2017). *Soins psychiques proposés aux enfants de 3 à 5 ans confiés à l'aide sociale à l'enfance en fonction de leurs modalités d'attachement*. (Thèse doctorat Publié). Université de Poitiers. France.
19. N. Guedeney & C. Lamas & V. Bekhechi & A.S. Mintz & A. Guédeney. (2008). *Développement du processus d'attachement entre un bébé et sa mère*. 2008(15): 12-19. Science Direct. DOI: 10.1016/S0929-693X(08)73942-3.
20. Nicole Guédeney. (2011). *Les racines de l'estime de soi : apports de la théorie de l'attachement*. CAIRN INFO. 2(23). 129-144. DOI 10.3917/dev.112.0129 . <https://shs.cairn.info/revue-devenir-2011-2-page-129?lang=fr>.
21. Rebecca Chankland. (2020). *le rôle de l'attachement dans le développement de l'autonomie*. (Thèse doctorat Publié). Université de Lyon. France.
22. Romain Dugravier & Anne Sophie. (2015). *Origines et concepts de la théorie de l'Attachement*. CAIRN. ING. N6.14-22. DOI 10.3917/ep.066.0014.
23. Stéphanie Leblanc. (2007). *la théorie de l'attachement pour comprendre les différents apprentissages et les troubles de comportement chez les jeunes de milieu défavorisés à risque de mauvais traitement*. (Thèse doctorat Publié). Faculté de sciences de l'éducation. Université Montréal. Canada.
24. Susana Tereno & Isabel Soares & Eva Martins & Daniel Sampaio & Elizabeth Carlson. (2007). *la théorie de l'attachement Son importance dans un contexte pédiatrique*. Médecine et HYGIENE. 2007/2 VOL 19. 151-188. DOI 10.3917/dev.072.0151. <https://shs.cairn.info/revue-devenir-2007-2-page-151?lang=fr>.